أحسن إليه الخليفة وقرّر له معلوماً نافعاً وكساه ونال من فايض عطاه. ثم تكرّر وفوده إلى صنعاء مرة بعد مرة في أيام الإمام المنصور كما ذكرنا، ثم في أيام الإمام المتوكل، ثم في أيام مولانا الإمام المهدي. وأرسله إلى مصر إلى الباشا مُحمَّد علي بهدية منها فيل، وكان ذلك في سنة (١٢٣٢)، ورجع وأخبرنا باندراس العلم في الديار المصرية، وأنه لم يبق إلّا التقليد والتصوف.

(٤٨٨)

(مُحمَّدُ الكردي أحد طلبة العلم القادمين إلى مدينة صنعاء)

وأصله من الكرد، وهي قرى مجاورة لبغداد خرج من بلاده لطلب العلم، وتنقّل في البلدان، وذكر لنا أن بغداد وما حولها من البلاد قد صار أكثر أهلها رافضة من روافض الإمامية، وكذلك غالب بلاد خراسان. وحكى لنا أن أكثر الناس اشتغالاً بالعلم أهل أصفهان، ولكن غالب اشتغالهم بعلوم العقل. وفيهم رافضة يجري بينهم وبين غيرهم فتنٌ عظيمة. وكان قدومه إلى صنعاء في أوائل القرن الثالث عشر، وقدم معه بكتب من أحسنها رسالة في علم المناظرة طويلة جداً بالنسبة إلى آداب البحث العضدية، ولها شرح نفيس مفيد في كراريس. وسألته عن مؤلف تلك الرسالة وشرحها فقال: هي معروفة في بلاد الهند وغيرها بمناظرة يُوسف. فسألته عن يُوسف هذا ابن من هو، وفي أي زمان هو؟ فقال: لا يدري. وقد طلب مني القراءة في تلك الرسالة وشرحها، فقلتُ له: هذه الرسالة لم أقف عليها إلَّا منك، فكيف تأخذها عنّي؟ فقال: لا بد من ذلك، فقرأها عليّ. وقد كتبها جماعة من أعيان علماء العصر وكثير من الطلبة، وهي من أنفس المؤلفات، وأكثرها فوائد، ولا ينبغي لطالب علم بعد وقوفه عليها أن يشتغل بآداب البحث وشروحها، فإنها ليست بشيء بالنسبة إلى تلك الرسالة وشرحها. وكان عمر صاحب الترجمة عند قدومه إلى صنعاء نحو أربعين سنة.

(٤٨٩)

(مُحمَّدُ بن عليّ بن وَهب بن مُطيع بن أبي الطَّاعة تقيّ الدين القشيري المنفلوطي الأصل المصري)[1]

القُوصي المنشأ المالكي ثم الشافعي نزيل القاهرة المعروف بابن دقيق العيد،

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٤/ ٩١؛ البداية والنهاية: ١٤/ ٢٨؛ فوات الوفيات: ٢/ ٢٤٤؛ النجوم الزاهرة: ٨/ ٢٠٦؛ شذرات الذهب: ٦/ ٥؛ كشف الظنون: ١٣٥، ١١٧٦؛ هدية العارفين: ٢/ ١٤٠، معجم المؤلفين: ١١/ ٧٠؛ الأعلام: ٦/ ٢٨٣؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٣/ ٦٩٥.

الإمام الكبير صاحب التصانيف المشهورة. ولد في شعبان سنة ٦٢٥ خمسٍ وعشرين وستمائة بناحية ينبع في البحر، وسمع بمصر من جماعة، ورحل إلى دمشق فسمع من أحمد بن عبد الدائم، والزين خالد، وغيرهما. وأخذ أيضاً عن الرشيد العطار، والزكيّ المنذري، وابن عبد السلام. وتبحّر في جميع العلوم الشرعية وفاق الأقران وخضع له أكابر الزمان وطار صيته واشتهر ذكره، وأخذ عنه الطلبة، وصنّف التصانيف الفائقة فمنها: (الإلمام في أحاديث الأحكام). وشرع في شرحه فخرَّج منه أحاديث يسيرة في مجلدين أتى فيها كما قال الحافظ ابن حَجَر بالعجائب الدالة على سعة دائرته في العلوم، خصوصاً في الاستنباط. وجمع (كتاب الإمام) في عشرين مجلداً، قال ابن حَجَر: عدم أكثره بعده. وصنّف (الاقتراح) في علوم الحديث. ومن مصنفاته شرح العمدة المشهور، وشرح مقدمة المطرزي في أصول الفقه، وشرح بعض مختصر ابن الحاجب في الفقه. (قال الذهبي): كان إماماً متفنناً مدققاً أصولياً مدركاً أديباً نحوياً ذكياً غواصاً على المعاني، وافر العقل كثير السكينة تام الورع مديم السنن مكباً على المطالعة والجمع سمحاً جواداً ذكيّ النفس نزر الكلام عديم الدعوى، له اليد الطولى في الفروع والأصول، بصيراً بعلم المنقول والمعقول. وغلب عليه الوسواس في المياه والنجاسة، وله في ذلك أخبار، قال: واشتهر اسمه في حياة مشايخه، وشاع ذكره وتخرّج به أئمة. وكان لا يسلك المراء في بحثه، بل يتكلم بكلمات يسيرة ولا يراجع حتى حُكِي عنه أنه قال: لكاتب الشمال سنين لم يكتب عليّ شيئاً. و(قال قطب الدين الحلبي): كان ممن فاق بالعلم والزهد عارفاً بالمذهبين إماماً في الأصلين حافظاً في الحديث وعلومه، يُضرب به المثل في ذلك. وكان آية في الإتقان والتحرّي، شديد الخوف دائم الذكر لا ينام من الليل إلّا قليلاً، يقطعه مطالعة وذكراً وتهجُّداً. وكانت أوقاته كلها معمورة، وكان شفوقاً على المشتغلين وكثير البرّ لهم قال: أتيته بجزء سمعه من ابن رواح والطبقة بخطه فقال: حتى أنظر فيه. ثم عدت إليه فقال: هو خطّي لكن ما أحقق سماعه ولا أذكره، ولم يحدث به، وكذلك لم يحدث عن ابن المنير مع صحة سماعه منه، قال الذهبي: بلغني أن السلطان لاجين لما طلع إليه الشيخ قام له وخطا من مرتبته. (وقال البرزالي): مجمع على غزارة علمه وجودة ذهنه وتفننه في العلوم واشتغاله بنفسه وقلة مخالطته، مع الدين المتين والعقل الرصين. قرأ مذهب مالك ثم مذهب الشافعي ودرّس فيهما. وهو خبير بصناعة الحديث، عالم بالأسماء والمتون واللغات والرجال، وله اليد الطولى في الأصلين والعربية والأدب. نشأ بقوص وتردّد إلى القاهرة. وكان شيخ البلاد وعالم العصر في آخر عمره. وَيُذكر أنه من ذرية بهر بن حكيم القشيري. وكان لا يجيز إلَّا بما يحدث به. (وقال) ابن الزملكاني: إمام الأئمة في فنه وعلّامة العلماء في عصره، بل ولم يكن من قبله سنين

مثله في العلم والدين والزهد والورع، تفرد في علوم كثيرة وكان يعرف التفسير والحديث ويحقق المذهبين تحقيقاً عظيماً، ويعرف الأصلين والنحو واللغة. وإليه المنتهى في التحقيق والتدقيق والغوص على المعاني، أقرّ له الموافق والمخالف، وعظّمته الملوك، وكان السلطان لاجين ينزل عن سريره ويقبل يده. و(قال ابن سيد الناس): لم أر مثله في من رأيت، ولا حملت عن أجلّ منه فيمن رويت. وكان للعلوم جامعاً وفي فنونها بارعاً. ولم يزل حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه ولو شاء العادّ أن يحصر كلماته لحصرها. وله تخلّقٌ، وبكرامات الصالحين تَحقُّق، وعلامات العارفين تعلق، وله في الأدب باع وساع وكرم طباع وحسن انطباع، حتى لقد كان الشهاب محمود يقول: لم تر عيني آدب منه ولو لم يدخل في القضاء لكان ثوري زمانه وأوزاعي أوانه. انتهى كلام ابن سيد الناس. قال البرزالي: وفي يوم السبت الثامن عشر من جمادى الأولى سنة (٦٩٥) ولي القضاء بالديار المصرية، قال ابن حَجَر: واستمر فيه إلى أن (مات) في صفر سنة ٧٠٢ اثنتين وسبعمائة. قال الصاحب شمس الدين: سمعت الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المالكي يقول: أقام الشيخ تقي الدين أربعين سنة لا ينام الليل إلّا أنه إذا كان صلّى الصبح اضطجع على جنبه إلى حين يضحى النهار. (قال) زكي الدين عبد العظيم بن أبي الإصبع صاحب البديع: ذكرت للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وجوه المبالغة في قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ الآية، وهي عشرة، ولم أذكر له مفصلاً، وغبتُ عنه قليلاً ثم اجتمعتُ به فذكر لي أنه استنبط منها أربعة وعشرين وجهاً من المبالغة. فسألته أن يكتبها لي، فكتبها بخطه، وسمعتها منه بقراءته، واعترفت له بالفضل في ذلك. انتهى. وقد عاش تقي الدين بعد ابن الإصبع زيادة على أربعين سنة. (قال ابن حَجَر): قرأت بخط مُحمَّد بن عبد الرّحيم العثماني قاضي صفد: أخبرني الأمير سَيْف الدين الحسامي قال: خرجت يوماً إلى الصحراء فوجدت ابن دقيق العيد واقفاً في الجبانة يقرأ ويدعو ويبكي فسألته، فقال: صاحب هذا القبر كان من أصحابي. وكان قرأ عليَّ فمات فرأيته البارحة فسألته عن حاله فقال لمّا وضعتموني في القبر جاءني كلب انقضَّ كالسبع وجعل يروعني، فارتعت، فجاء شخص لطيف في هيئة حسنة فطرده وجلس عندي يؤنسني فقلت: من أنت فقال: أنا ثواب قراءتك الكهف يوم الجمعة. انتهى.

وله أشعار حسنة محكمة قوية المعاني جيدة المباني، قد أورد منها جملة نافعة من ترجمه من الأدباء وغيرهم. وبالجملة فقد اعترف له أئمة كل فنٍّ بفنهم، رحمه اللَّه تعالى.